مذهب تناسخ الارواح

يحدثنا التاريخ ان هذا المذهب قديم آمن به قدماء اليونان من اصحاب المذاهب الفلسفية ، كفيثاغورس وافلاطون صاحب القول المأثور ان التعلم تذكر ، وانما اخذ فلاسفة اليونان هذا المذهب عن قدماء المصريين ، على حين ان هؤلاء ايضاً تعلموا هذه التعاليم من الهنود، فالمذهب على هذا الاعتبار هندي وقديم قد تطور مع الزمن ككل شيء

ولقد اتى على هذا المذهب حين من الدهر ذاع عنهُ في اصقاع المعمورة ان النفس البشرية اذا لم ترقَ في تجسدها الى درجة اسمى تتأهل بها ان تتجسد تجسداً يتناسب مع الناموت العام ، امكنها ان تتقمص جسد حيوان . جاء اعرابي يطلب الى آخر ممن كانوا على هذا المذهب ان يقرضهُ مبلغاً يردهُ اليهِ اذا التقيا في تجسد مقبل ولكن الاعرابي كان خفيف الروح وصاحب لكنة اذ اجابه على الفور — اني اقبل هذا الصنف من المعاملة على شريطة ان تضمن لي بان لا تتقمص جسد حيوانٍ في تجسدك المقبل ، وهذا ما يدل ايضاً على ان هذا المذهب كانت تعرفهُ العرب

على حين ان هذا الرأي ليس من الوجاهة ولا من الصواب في شيء ، لان القول بان النفس البشرية تعود القهقرى في تجسداتها فتتقمص بجسد حيواني — بدعة ابتدعها رجال الكهنوت القدماء ، وكان غرضهم من ذلك تخويف الكافة حتى يكفوا عن ارتكاب الآثام ، واتيان الخطايا خيفة ان يُردوا الى هذا العالم بهائم تعذَّب. ذلك بان ناموس الترقي العام وتكمل الجسم الروحاني ووظائفهُ الفزيولوجية تنقض هذا الرأي وتجتثهُ من اساسهِ

والآن نريد ان نعرض بعض التأملات والاسباب التي تحمل اصحاب هذا المذهب على اعتقاداتهم هاته فنقول انهم يعللون التناسخ ويركون رأيهم فيهِ واعتقادهم بهِ بما تنطق بهِ حوادث التاريخ وهاك بعض ذلك

(١) ولد في لوبيك (من اعمال المانيا) ولد يدعى « ارنكوس اينيكيم » سنة ١٨٧١ بدأ يتكلم بكل فصاحة في الشهر العاشر من عمرهِ و بعد شهرين تعلم اسفار موسى الخمسة وفي الشهر الرابع عشر تعلم العهدين (القديم والحديث) وفي العام الثاني من عمرهِ الفن تاريخ الاقدمين وقيل انهُ كان يعادل شيشرون في فصاحتهِ باللاتينية و يظهر غلطات في مؤلفات اكبر ادباء فرنسا

(٢) ان « هيرموجين » علم « مارشيلاوس قيصر» علم البيان والمعاني وكان هذا الاستاذ في الخامسة عشرة من سني حياته

(٣) رُوي عن فتاة افرنسية انها بلغت الرابعة عشرة من سني حياتها ولم تكن تعرف الاَّ البسيط النادر من لغتها ولما نوموها تنويماً مغنطيسياً كانت في نومها تكتب وتتكلم اللغتين الانكليزية والالمانية بفصاحة ولباقة ورشاقة تأخذ بمجامع القلوب ، فمن اين جاءها ذلك ان لم يكن قد ارتكز في فطرتها من تجدد سابق ثم حجبتهُ المادة وكثافتها الى ان حان حين التذكر؟

(٤) زوي عن « يوحنا فيلبس باراتيه » انهُ كان في الرابعة من عمره يتكلم ويكتب الفرنسية والالمانية واللاتينية وفي السنة السادسة اتقن اليونانية ، وفي السابعة العبرانية فترجم التوراة الزبانية الكبيرة في اربعة مجلدات ضخمة واضاف اليها مجلداً آخر من الحواشي والمباحث

(٥) روت الجرائد الانكليزية والفرنسية سنة ١٨٦٨ عن فتاة انكليزية بقيت خرساء حتى الثالثة عشرة من عمرها لم تتعلم الاَّ كلمتي (ابتاه) (اماه) وانها كذلك اذ شرعت تتكلم في يوم ما بلغة مجهولة لارابط بينها وبين الانكليزية وليثت جاهلة اللغة العائلية بتاتاً حتى اضطرَّ اخوها ان يتعلم لغتها الغريبة كيما يمكنهُ ذلك من التفاهم واياها . فمن اين كان لها ذلك

(٦) ان الفتاة « تريزيا ميلانوتلو » ادهشت هواصم اوروبا بضربها بالكمان — حتى قال عنها الموسيقار الشهير (بايو) يظهر انها ضربت بالكمان قبل ان تولد

(٧) اتقن (موزار) الموسيقار الطائر الصيت ضرب الارغن في الرابعة من عمره وفي الثانية عشرة من سني حياته الف روايتهُ الموسيقية الاولى

(٨) لماذا نجد في بعض الناس استعدادات شتى مجردة عن الخواطر التي اقتبسوها بالتعليم والتلقين والتهذيب ؟

(٩) لماذا نجد في بعض الفتيان استعداداً فائقاً لصناعة من الصنائع او علم من العلوم يتبحرون فيها نبوغاً عظيماً ؟ (١٠) لماذا نأنس في بعض الفتيان من ارقى الطبقات واعظمها في الامم المتمدينة ومن ذوي الحسب والنسب ميولاً ساقطة وخيمة يعجز التهذيب عن استئصالها ، وفي بعض فتيان من الوضعاء ومن احطّ الطبقات بل ومن الرعاع ، عواطف شريفة ، وميولاً خيرة ونزعةً الى النبل والخير ؟

(١١) لماذا نجد في بعض الناس افكاراً غريزية لم يتلقنوها من احد ولم يوفق اليها غيرهم ؟ (١٢) ما هي ضرورة وجود المتوحشين قبل المتمدنين ؟ والهمجية ازاء التمدن والعمران ؟ واذا اخذت طفلاً من اطفال الهمج في اواسط افريقية وربيته في اشهر مدارس اوربا ، هل هو من بعد ذلك يصل الى درجة ارسطو او نيوتن ؟

هذه جملة آراء تعنّ لاصحاب هذا المذهب جئنا بها نعرضها امام القرّاء من غير ان نتحمل تباعتها — وهم يزيدون على ذلك فيقولون : اذا نحن كفرنا بمذهب التناسخ وقلنا بوحدة حياة الانسان الجسدية اضطررنا الى الاقرار بخلقة الروح مع الجسد ، وكان لزاماً على خصوم مذهبنا ان يحلّوا لنا هذه المسائل حلاً معقولاً يتسق ومذهبهم . قالوا :

فاما ان الله يخلق الروح مع الجسد فهو ما يؤدي الى الاعتقاد بان الانفس في الخلقة متساوية او مختلفة ، فان خلقها مختلفة كان وحاشاهُ ان يكون — تنزهت قدرتهُ وتعالت حكمتهُ يزين بعض الانفس بصفات ويترك غيرها في ظلام الجهل . وان قلنا ان الله خلق الانفس متساوية وانما جاءت الاختلافات من الاختلافات الكائنة في التراكيب العضوية كان هذا الجواب اعقد للمسألة من الاول لانهُ يبقي المشكلة من غير حل . اذ نعود الى السؤال — لماذا يهب العليم القادر الحكيم جلّ شأنهُ لنفس جسماً صحيحاً معافى قوياً كامل الصفات وللاخرى جسماً ضعيفاً ناقصاً يقيد قواها العقلية

على ان رأياً كهذا يوافق ضلال الماديين ويجعل الانسان آلة مادية تتلاعب بها الاهواء وينفي عنهُ مسؤولية اعماله فلا حساب ولا عقاب لما في بنيته من نقص

اما اذا عاد المجيب الى انهُ قد ترك للانسان جهة الاختيار فهو بما فيهِ من حرية مسئول عن اعماله — فان اصحاب مذهب التناسخ يعودون يسألونهُ لماذا يمنح الله البعض جسماً مطواعاً لا ميل فيهِ الى الرذيلة ويقيد غيره بجسم متمرد يضطرّ النفس الى جهاد وجلاد وتعب وعناء ينتهي بها الى الفشل والسقوط . قالوا : وما نحن ينكرين ما للجسم من القوة التأثيرية على النفس وعلاقة الحالة العضوية بالحالة النفسية وتأثر الثانية بالاولى وانما نحن نذهب الى القول بانهُ ليس كل ما في الانسان من فضيلة او رذيلة ، وذكاوة او غباوة ، ليس كل هذا ناتجاً عن تأثر الحالة النفسية بالحالة العضوية . آية ذلك اننا نرى ولدين من اب واحد وام واحدة يتباينان تبايناً كلياً الواحد عن الآخر في الصفات والمواهب والقوى حتى يحق لك ان تسمي الواحد ملاكاً طاهراً والآخر شيطاناً رجيماً — مع انهما يكونان قد تربيا في مدرسة واحدة واعتنقا مذهباً واحداً حسن حسين